Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (7), Issue (1) February (2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

دراسة نقدية لتفسير الزمخشري لآيات الصفات الخبرية؛ "يد الله" في الآية العاشرة من سورة الفتح أنموذجاً

عقيل عوده خليفه رئاسة جامعة كركوك ،قسم المتابعة الجامعية

علي بدري جامعة قم

خالد جمعة حسين رئاسة جامعة كركوك ،شعبة التوظيف والملاك

A critical study of Al-Zamakhshari's interpretation of the verses of the descriptive attributes; "The Hand of God" in the tenth verse of Surat Al-Fath as a model

Aqeel Awda Khalifa
Ali Badri
Khaled Juma Hussein
aqeelawda1986@gmail.com
alibadri13744@gmail.com
khaliedjuma@uokirkuk.ed.iq

المستخلص

إن معرفة المعنى المجازي لألفاظ القرآن المتشابهة ضروري لفهم المعنى الذي أراده الله من الكلمة المذكورة، وبالتالي فهم معنى الآية المعنية. تناول البحث الحالي آراء المفسرين حول المعنى المجازي لكلمة "يد" في آية "يد الله فوق ايدهم" بالمنهج الوصفي التحليلي. وبما أنه ثبت في الكلام أن الله معفى من الأعضاء الجسدية، فإن المعنى الحقيقي لكلمة "يد" في الآية المذكورة لا يمكن أن يكون مقصوداً لله تعالى. والسؤال الأساسي في هذا البحث هو ما المعنى المجازي لكلمة "يد" في الآية المذكورة، وما قصد الله من "يد" في هذه الآية، وقد قدموا المعنى المجازي لكلمة "يد" في هذه الآية؟ والتي يمكن عدها حتى ١٨ وجهة نظر. وقد قال المفسر الكبير الزمخشري لأول مرة بأن (يد الله) في هذه الآية يعني يد رسول الله (ص) ، وقد ذهب جماعة من المفسرين من بعده إلى هذا الرأي أيضاً. وتنتقد الدراسة الحالية وجهة نظر الزمخشري ولا تعتبر ادعاءه كاملا في هذا الصدد، وتعتبر وجهة النظر المختارة بالمعنى المجازي لكلمة "يد" هي "يد الله بالبيعة."

الكلمات المفتاحية: المعنى المجازي، يد الله، يد البيعة، يد رسول الله (ص)، الزمخشري

Abstract

Knowing the metaphorical meaning of the similar words of the Quran is necessary to understand the meaning intended by Allah from the mentioned word, and thus to understand the meaning of the verse in question. The current research has dealt with the opinions of the commentators about the metaphorical meaning of the word "hand" in the verse "The hand of Allah is above their hands" using the descriptive analytical approach. Since it has been proven in the speech that Allah is exempt from bodily organs, the real meaning of the word "hand" in the mentioned verse cannot be intended for Allah Almighty. The basic question in this research is what is the metaphorical meaning of the word "hand" in the mentioned verse, and what did Allah mean by "hand" in this verse, and they have presented the metaphorical meaning of the word "hand" in this verse? Which can be counted up to 18 points of view. The great commentator Al-Zamakhshari said for the first time that (the hand of Allah) in this verse means the hand of the Messenger of Allah (PBUH), and a group of commentators after him also

adopted this opinion. The present study criticizes Al-Zamakhshari's viewpoint and does not consider his claim complete in this regard, and considers the chosen viewpoint in the figurative sense of the word "hand" to be "the hand of God in the pledge of allegiance.Keywords: figurative meaning, the hand of God, the hand of allegiance, the hand of the Messenger of God (PBUH), Al-Zamakhshari

١. بيان المشكلة

إحدى الكلمات المفتاحية في القرآن من ضمن الصفات الخبرية التي قدم المفسرون لها معاني مجازية هي كلمة "يَد الله" في الآية ١٠ من سورة الفتح. موضوع هذا البحث هو التحليل التفسيري للمعنى المجازي لكلمة "يد" في آية "يد الله فوق أيديهم" ونقد وجهة نظر الزمخشري. وبهذا المعنى فإن المعاني المجازية المقدمة لهذه الكلمة القرآنية يحللها المفسرون مع التركيز أكثر على وجهة نظر الزمخشري، حتى نتمكن من خلال نقد وجهات النظر الأخرى، وخاصة وجهة نظر الزمخشري، من تحقيق المعنى المجازي المختار. وعلى هذا، يهدف البحث الحالي أولاً إلى تصنيف المعاني المقدمة لعبارة "يد الله" في التفاسير، و وضع وجهة نظر الزمخشري في بوتقة النقد، وأخيراً التعبير عن المعنى المجازي المختار. والسؤال الرئيسي في هذا البحث هو ما المعنى المجازي لكلمة "يد" في قوله تعالى "يد الله فوق يدي ايديهم"؟ وفي هذا الصدد ما هي وجهة نظر الزمخشري وما هي النقود التي وجهت إليها؟ وما هو الرأي المختار؟

٢. مباحث تمهيدية

قبل التعامل مع آراء المفسرين و خاصة الزمخشري حول المعنى المجازي لـ "يد الله" في الآية ١٠ من سورة الفتح، لا بد من الانتباه إلى بعض مباحث تمهيدية.

٢.١. سابقة البحث

أما فيما يتعلق بتفسير و تأويل المعنى الظاهري للآيات التي تستشم منها رائحة التجسيم و التشبيه، فبالإضافة إلى التفاسير الترتيبية، فقد أجريت أيضاً أبحاث مستقلة أخرى، يمكن الاشارة إليها بحث « تأويل صفات خبرى خداوند در تفسير الميزان من عمل سيد معصوم حسيني وفاطمة علي خاني وسيدة فاطمة سليمي وفيه شرحوا صفات الله الخبرية في الآيات الإلهية ووصلوا إلى أنه من وجهة نظر العلامة الطباطبائي، فإن كل كلمة من الصفات الخبرية حسب السياق، تستخدم في مجالات دلالية مختلفة. ومن هنا تم رفض شبهات المستشرقين والملحدين في باب ادعاء الاختلاف في الصفات الالهية، ورفض فرقة الأشاعرة والمعتزلة في بحث التجسيم و التأويل العقلي. وقد اعتبروا في هذا البحث أن الإشارة إلى الآيات المحكمات والروايات الصحيحة والتراكيب اللغوية في الأدب العربي دليل على صحة كلام العلامة الطباطبايي. – أطروحة دكتوراه بعنوان «آسيب شناسى ادبيِ فهمِ آيات صفاتِ خبرى در تفاسير فريقين» للكاتب محمد أمين مؤمني، أن أبرز أضرار وآفات أدبية في فهم هذه المجموعة من الآيات هو التحليل غير الصحيح أو غير المكتمل للمعنى الحرفي للألفاظ و كذا إهمال القرائن اللفظية و المعنوية المتصلة والمنفصلة، وإغفال الاستخدام المجازي أو الساخر للألفاظ أو الجمل، أو تجاهل بعض قواعد البلاغة،وخاصة علم البيان و البديع أو مطلقيته،أو اعتبار بعض القواعد غير المثبتة أصلية، وعدم الالتفات إلى الأسلوب الأدبي و وحدة السياق، والموضوعات المتعلقة بمكانة الجمل في اللغة. – رسالة الماجستير " بررسى تطبيقى آيات صفات خداوند در تفاسير الميزان علامه طباطبايى و التحرير و التنوير ابن عاشور " لمحمد دهقان جناري، و هو في سياق هذه الكتابة مع شرح وتعريف المسألة وموقفها، قد تمت محاولته بالبيان المعلل والاعتماد على كلام العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان وابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير في شرح نظرية عينية الصفات مع الذات و وصلت إلى أن رأي ابن عاشور في المسائل الكلامية هو رأي أشعري، باستثناء حالات قليلة يميل فيها إلى رأي المعتزلة –.رسالة الماجستير " بررسى تطبيقى صفات خبرى آيات و تأويل آن ها از منظر علامه طباطبايى، فخر رازى و حافظ الدين نسفى" لشمس الدين بوستاني ، و نتيجة البحث أن في هذه التفاسير الثلاثة بالنظر إلى أسسها و طرق تأويل الصفات الخبرية فيها لا ينبغي أن تحمل هذه الصفات على ظاهرها، والاعتقاد بالتجسيم و التشبيه لا يقبله أحد من أصحاب تلك التفاسير الثلاثة – .رسالة الماجستير " بررسى و تطبيق تفسير آيات صفاتى خداوند بين تفسير الميزان و تفسير المنار " من تأليف مظهر نعمتي، وتوصلت إلى أن الإيمان بتجسد الله والتأويل اللامحدود لصفات الله لا يقبلها أحد من أصحابه هذين التفسيرين، وإن كان في تفسير المنار الاعتماد على فهم جمهور الصحابة، والاعتقاد بعدم تحريف هذه المجموعة من الآيات، و نجد التصريح بذلك في تفسير الميزان اتباعاً لمدرسة أهل البيت (ع) وأخذ المعنى الأصلي بإزالة الملحقات المحتملة، ويعتمد أسلوب الإثبات المقبول في هذا البحث على نوع الظهور التصديقي.ونظراً لعدم وجود بحث مماثل في سابقة البحث خاصة بالنسبة للزمخشري في خصوص الآية العاشرة من سورة الفتح فإن البحث الحالي يستحق المناقشة والبحث ويعتبر عملاً جديداً.

٢-٢. ماهية المجاز و وجوده في القرآن

وقد نزل القرآن الكريم باللغة العربية (يوسف/٢؛ الشعر/١٩٥). وله خصائص اللغة العربية. ومن خصائص اللغة العربية وجود المعاني المجازية فيها واستعمالها في المحاورات العرفية. والمقصود من المجاز في القرآن الكريم هو نفس معنى المجاز في العرف العربي. و المجاز، خلافاً للحقيقة، استعمال لفظ غير المقصود منه طبعاً مع علاقة تمنعه من المعنى الحقيقي.[١] وبما أن القرآن الكريم مؤلف من الكلمات الالفاظ، فقد نزل على منوال كلام العرب و باللغة العربية (يوسف: ٢؛ الرعد: ٣٧؛ طه: ١١٣) والواضحة (الشعراء: ١٩٥؛ نحل، ١٠٣) لذلك أنه يمتلك خصائص اللغة العربية و منها وجود المجاز في اللغة العربية. وكما يستخدم العربي الحقيقة و المجاز للتعبير عن مفاهيمه في شكل كلمات، فقد استخدم الله تعالى الكثير من المعاني المجازية في القرآن الكريم للتعبير عن مقاصده بالإضافة إلى استخدام المعنى الحقيقي. ولمعرفة حقيقة هذا القول يكفي الرجوع إلى القرآن الكريم ومعرفة الأدلة على جواز استخدامه فيه. ولهذا تمت في هذا الباب مناقشة الأدلة على وجود الجواز في القرآن، ثم تناولت الأدلة الروائية.

٢-٢-١. الأدلة القرآنية و الروائية على وجود الجواز في القرآن

إن وجود المعاني المجازية في القرآن ليس ممكناً فقط من ناحية البرهان وليس فيه رفض عقلاني أو عقلي، بل إن بلاغة القرآن تقتضي وجود المعاني المجازية؛ لأنه يزيد في بلاغة الكلام، وهو من أفضل وسائل التعبير التي تقتضيها الطبيعة البشرية[٢] وطبعاً لإثبات ذلك يمكن الرجوع إلى الأدلة القرآنية، وفيما يلي بعض أهمها.وكلمة "المجاز" أو أي كلمة أخرى تدل على ذلك لم ترد في القرآن، ولا نجد آية تشير إلى المجاز صراحة أو ضمنا. لكن آيات القرآن مليئة المعاني المجازية. ويمكن أن يكون من الأسباب الأساسية للاعتقاد بوجود المجاز في القرآن هو البنية الخاصة لألفاظ القرآن، والتي يمكن فحصها من الجوانب التالية:أ) الآيات التي تشير إلى ذهاب و أياب الأشياء التي ليس لها عادة حركة الإنسان أو الحيوان (الأرجل) فيها، وتستخدم لها عبارات «المجئ»، «الاتيان» و «الذهاب» الآيات التي تشير إلى مجئ العذاب (الأنعام ٤، ٤٧؛ يونس ٥٠، العنكبوت ٥٣)، و الكلام و القصة (طه ٩، الذاريات ٢٤، النازعات، ١٥؛ البروج، ١٧؛ الغاشية، ١) والخبر (ص ٢١؛ القمر، ٤) والكتاب (البقرة، ٨٩؛ الفصلت، ٤١) والعلم (البقرة، ١٢٠؛ آل عمران، ١٩؛ يونس، ٩٣؛ الشورى، ١٤؛ الجاثية، ١٧) والأدلة والبراهين (آل عمران، ٨٦، ١٠٦) والحق (الأنعام، ٥؛ يونس، ٤٨؛ الأحقاف، ٥؛١١٠ الهدى (الإسراء/ ٩٤؛ الكهف/ ٥٥؛ النجم/ ٢٣) والوعد (الشعرا/ ٢٠٦) من هذا القبيل ولكن بما أن الاتيان في هذه الأشياء لا يمكن أن يكون معناه المجيء سيرا على الأقدام، فيجب أن يكون المقصود هو المعنى المجازي.ب) وجود المجازات بأنواعها في القرآن يدل على وجود المجاز في القرآن؛ لأن الاستعارة من أنواع المجاز[٣] وليست من الحقيقة. تحتوي العديد من آيات القرآن الكريم على الاستعارات (انظر: البقره،١٠، ١٦، ١١٠، ٢٥٠؛ آل عمران،٣، ٧، ١٨٥؛ النساء،١٠٠؛ المائده،٤٦؛ الاعراف،٨٣، ٩٦، ١٢٦، ١٧٦؛ التوبه،١١، ٥٧؛ الكهف،٤٥؛ مريم/٥٩؛ انبياء/٦٤، ١٠٤؛ المؤمنون،١٤، ١٠٨؛ السجده،٩نحل/٢؛ الرحمن/٣١؛ ابراهيم/١؛ الدخان/٤٩؛ الصافات/٦٥؛ الصف/١٠-١١؛ الملک/١).ج) وصف الله ببعض الصفات والأفعال الإنسانية في القرآن ونسب تلك الصفات إلى الله (انظر: البقره،١١٥، ٢١٠، ٢٧٢؛ آل عمران،٧٢؛ المائده،٢٤، ٦٤؛ الانعام،١٦٤؛ الاعراف،٥٤؛ الانفال،١٢؛ يونس،٣؛ هود،٧، ٣٧؛ الرعد،٢؛ طه،٥؛ الفرقان،٥٩؛ الروم، ٢٨، ٢٩؛ السجده،٤؛ الزمر،٥٦، ٦٧؛ الفتح، ١٠؛ الحديد،٤، ٢٩؛ الحاقه،١٧؛ الانسان،٩؛ الفجر،٢٢) ومع ذلك، وبسبب الضرورة العقلانية والقرآنية، فإن الله ليس مثل الإنسان، ولكن لا شيء مثل الله (الشورى،١١) فلا بد من مراعاة هذه الصفات في أن تكون قولاً مجازياً و لا حقيقا.د) وجود المتشابه في القرآن. بعض الآيات تشير إلى وجود المتشابه في القرآن (آل عمران، ٧). المعاني المجازية دائما تشبه المعنى الحقيقي، وفي كثير من الآيات المشابهة يكون المعنى المجازي هو قصد الله (انظر البقره،١١٥، ٢١٠، ٢٧٢؛ آل عمران،٧٢؛ المائده،٢٤، ٦٤؛ الانعام،١٦٤؛ الاعراف،٥٤؛ الانفال،١٢؛ يونس،٣؛ هود،٧، ٣٧؛ الرعد،٢؛ طه،٥؛ الفرقان،٥٩؛ الروم، ٢٨، ٢٩؛ السجده،٤؛ الزمر،٥٦، ٦٧؛ الفتح، ١٠؛ الحديد،٤، ٢٩؛ الحاقه،١٧؛ الانسان،٩؛ الفجر،٢٢). وبما أن اتلمشابه مقابل المحكم يشمل أيضاً المجاز مقابل الحقيقة[٤] فإن وجود المتشابه في القرآن يعني وجود المجاز فيه لأن المجاز من أقسام المتشابه.ولعل أهم الأدلة الروائية على وجود المجاز في القرآن هي الروايات التي تؤكد المعنى الباطن للقرآن منها: قول الامام الصادق (ع) لجابر الجعفي: «يَا جَابِرُ إِنَّ لِلْقُرْآنِ بَطْناً وَ لِلْبَطْنِ بَطْناً وَ لَهُ ظَهْرٌ وَ لِلظَّهْرِ ظَهْر»[٥] وعلى هذا، الروايات التي تصل إلى حد الاستفاضة يثبت وجود الباطن للقرآن. وفي هذه الأحاديث مقارنة الباطن والبطن بالظاهر والظهر. ولما كان المعنى المجازي ليس معنى ظاهرا، فلا بد من اعتباره أحد أنواع البطون القرآنية. كما أن القرآن حينما يتحدث عن اليد (آل عمران،٧٣؛ المائده،٦٤؛ الزمر،٦٧؛ الفتح،١٠؛ الحديد،٢٩) و الوجه (البقره،١١٥، ٢٧٢؛ الروم،٣٨، ٣٩؛ الانسان،٩) و العين (هود،٣٧؛ المؤمنون،٢٧؛ طور،٤٨؛ القمر،١٤) و الجنب (الزمر،٥٦) لله تعالى وهو بالتأكيد ليس المعنى الظاهر والحقيقي؛ ولأنه يؤدي الى التشبيه، فلا بد أن يكون له معنى باطني ومجازي.

٣. المباحث الرئيسية:

٣-١. بيان وجهة نظر المفسرين في معنى "يد" في آية "يد الله فوق إيدهم"

وسنبين هنا المعنى المجازي لكلمة "يد الله" في الآية ١٠ من سورة الفتح من وجهة نظر المفسرين. ""يد الله"" في هذه الآية يفهم على أنها مجازية وتعتبر استعارة تخيلية[٦] ويبدو من الدراسات التي أجرينا في التفاسير من البداية إلى الآن أنه في معنى " يد الله " في هذه الآية، قد ذهب المفسرون إلى ١٨ رأيا، و هي كما يلي:

١. يد الوفاء.[٧]

٢. يد العهد. [٨]

٣. يد القدرة. [٩]

٤. يد الهداية. [١٠]

٥. يد الثواب. [١١]

٦. يد رسول الله (ص). [١٢]

٧. يد النصرة. [١٣]

٨. يد النعمة بالقول المطلق. [١٤]

٩. يد نعمة وجود النبى (ص). [١٥]

١٠. يد الحفظ و الحراسة. [١٦]

١١. يد البيعة. [١٧]

١٢. يد المغفرة. [١٨]

١٣. يد الغلبة.[١٩]

١٤. يد التوفيق. [٢٠]

١٥. يد منة الاسلام. [٢١]

١٦. يد دفع السوء. [٢٢]

١٧. الفعل و العمل. [٢٣]

١٨. الاطلاع. [٢٤]

٣-٢. تصنيف ودراسة الآراء بالنظر إلى رأي الزمخشري

يمكن تصنيف وتلخيص مجموع وجهات النظر الثمانية عشر المذكورة أعلاه في المعنى المجازي لـ "يد الله" في ثلاث أقسام:

١. يد البيعة.

٢ .يد القوة.

٣ .يد رسول الله (ص)ورغم أن جميع وجهات النظر يمكن أن تنسب إلى القدرة الإلهية، إلا أن التقسيم المذكور أعلاه جاء لتوضيح وجهة النظر المختارة والجانب الصحيح في المعنى المجازي لـ " يد الله " في هذه الآية. يد النصرة و يد النعمة و يد الحفظ و الحراسة والإطلاع والعمل والفعل و يد الإسلام و يد الهداية، ويد الغلبة، ويد المغفرة ويد الثواب، توضع في القسم الثاني (يد القوة)؛ ورغم أن فخر الرازي أعاد يد الحفظ و الحراسة إلى يد النصرة[٢٥] إلا أنه في النهاية تعود إلى يد القدرة. والسيد المرتضى، نقلاً عن القاضي عبد الجبار، جعل "يد الله" تعني القوة.[٢٦] ومع أن يد دفع السوء تعود إلى يد القدرة، إلا أن سياق الآية يمنعنا من قبول هذا المعنى. وفي الآية حديث عن البيعة، ولم يرد فيها ذكر نقض البيعة، حتى يقال أن يد الله فوق يد الناقضين ويمنعهم من إيذاء النبي (ص)ويبدو أن معنى "يَد الله" في هذه الآية ليس يد القدرة، ولا يبدو قول من جعل "يَدُ الله" يعني يد القوة قولا صحيحا؛ لأنه أولاً يمكن إرجاع كل المعاني إلى يد القدرة؛ لأن قدرة الله عامة وتخص جميع المعاني المذكورة، وإذا اعتبرت المعاني الأخرى فهي مع مراعاة قدرة الله، والمعاني التي ذكرها المفسرون هي في طول القدرة وليس في عرضها حتى يكون ليد القدرة معنى بخلاف المعاني المذكورة وثانياً، لا يدعم سياق الآية أن "يَدُ الله" في الآية تعني يد القدرة؛ لأنه بحسب شأن نزول الآية ليست الآية في موضع التعبير عن قوة المبايعين، بحيث يمكن القول أن قدرة الله فوق قدرة المبايعين، و لذلك يقول صاحب تفسير الأمثل: "ومن فسر هذه الجملة على هذا النحو: "قدرة

الله أعظم من قدرتهم" أو "عون الله وتأييده أفضل من عون الناس وتأييدهم" ونحو ذلك لا يتناسب مع شأن نزول الآية ومحتواها".[٢٧]كما أن يد العهد و الوفاء يندرجان في القسم الأول (يد البيعة)؛ لأن الوفاء شرط في كل عهد، و أن العهد هو أعم من البيعة، ففي هذه الآية بما أن المقصود هو الاخص (يد البيعة) فإن العهد يجب أن يدخل في يد البيعة، بمعنى أنه في الآية الشريفة ليس كل عهد مقصودا بل المقصود هو بيعة الرضوان.

ويبدو أن الفراء (٢٠٣ ق) رأى المجاز في هذه الآية من باب مجاز الحذف[٢٨] وفي هذه الحالة يمكن أن يكون المحذوف "الوفاء" أو "العهد"، وكأنه في الواقع هكذا: " يَدُ اللَّهِ في العهد و الوفاء فوق أيديهم "، أو كما قال البعض: "يد الله الوفاء فوق أيديهم" [٢٩]وكما قيل فإن الوفاء يعود إلى نفس العهد والميثاق، فلا تعارض بين هذين المعنيين.وأنكر أبو الفتوح الرازي الرأي الأول (يد البيعة) وكان عنوانه أن العهد يرجع إلى العقد وأن عهد الله فوق عهدهم قول لا فائدة منه[٣٠]. و لكن بعد الدقة أكثر نجد فوقية العقد التي ترجع إلى البيعة تعني تأكيد بيعة المبايعين من قبل الله، ولا يكون بلا فائدة ، نعم، لا فائدة منها إذا كانت "يد الله" تعني "يد رسول الله"؛ ولأن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فوق أيديهم فلا داعي للتوفه به، لأن كل من بايعه يشهد هذا لامشهد. وقد أنكر أبو الفتوح الرازي معنى النصرة لـ "يد الله" في اللغة العربية ولم ير معنى النعمة لـ "يد الله" مناسبا لهذه الآية.[٣١]رأى ابن شهر آشوب و هو يفسر آية "وَهُوَ الْقَاهِرُ عَلَى الْعِبَادِ" (الأنعام: ١٨) أن "يد الله على أيديهم" تعني السلطة والقهر[٣٢] لكنه حينما فسر الآية العاشرة من سورة الفتح " يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم» واعتبرها نعمة الإسلام والعهد.[٣٣] و أما معنى الفعل و العمل لـ "يد الله" هو المعنى البعيد عنها، والذي قد لا نستطيع تقديم دليل عليه من الناحية اللغوية.والزمخشري وأتباعه، على مذهب "الإعتزال" الذي ينفي عن الله الأعضاء، يرون أن "يد الله" تعني "يد رسول الله" [٣٤]و في هذه الحالة يكون المجاز من باب مجاز الحذف، بحيث يبدو أن الآية كانت في الأصل هكذا: "يد رسول الله فوق أيديهم".وقد أنشد صفي علي شاه وجهة النظر هذه على النحو التالي:

از يد الله فوق ايديهم بجاست اينكه دست مصطفى دست خداست[٣٥]

ومن المفسرين الآخرين الذين استقبلوا هذا الرأي: العلامة الطباطبائي[٣٦] وآية الله السبحاني[٣٧] والألوسي[٣٨] ولم يقدم هؤلاء المفسرون الثلاثة دليلا معتنى به لهذا المعنى المجاز المقصود، ويبدو أنهم اقتصروا على الزمخشري في هذا الأمر. في هذه الأثناء، وجهة نظر أبوحيان متهافتة؛ لأنه أولاً اعتبر "يد الله" يد النعمة[٣٩] ثم بين وأثبت قول الزمخشري في كون «يد الله» يد رسول الله صلى الله عليه و آله سلم دون رده و أو التعليق عليه.[٤٠] الزمخشري، أبو الفتوح الرازي":ويد الله فوقهم. قال ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بأيديهم في البيعة وقال: (أفرض كأن يد الرسول صلى الله عليه و آله سلم مثل يده تعالى إذا كانت له يد جارحة.[٤١]وقال الملا فتح الله كاشاني أيضاً نقلاً عن الزمخشري: «أي أن يد النبي التي هي يد الله في الحكم فوق يده، ويمكن أن تكون هذه الجملة حالية؛ يعني أن أصحاب الرسول صلى الله عليه و آله سلم بايعوه حال كون يده صلى الله عليه و آله سلم مثل يد الله تعالى و بأن الله تعالى منزه من الأعضاء و صفات الاجسام فالغرض من هذا القول أن البيعة مع الرسول كالبيعة مع الله.[٤٢]

٣-٣. نقد وجهة نظر الزمخشري

الزمخشري وأتباعه، على مذهب "الاعتزال" الذي ينفي الأعضاء البشرية عن الله ، يرون أن "يد الله" تعني "يد رسول الله"[٤٣] وهذا من باب تقدير محذوف بحيث يبدو أن الأصل هكذا: (يد رسول الله فوق أيديهم). وقد تناولنا هنا نقد وجهة نظر الزمخشري في معنى " يد الله " في آية "يد الله فوق أيديهم." و النقد كما يلي:

٣-٣-١. منع حصر تفسير «يد الله» في «يد رسول الله صلى الله عليه و آله سلم»

دليل الزمخشري هو أن الله تبارك وتعالى منزه عن كونه ذا يد (الجارحة)؛ إلا أنه من الممكن تفسير "يد الله" إلى معاني أخرى دون أن يؤدي إلى التجسيم و التشبيه، ولا يمكن اعتبارها حصرا في تفسير «يد الله» هنا إلى يد رسول الله صلى الله عليه و آله سلم.

٣-٣-٢. أولوية عدم التقدير على التقدير

و لا وجه لتقدير كلمة "رسول" في هذه الآية ؛ لأنه في حالات أخرى مماثلة يظهر لفظ "يد الله" (آل عمران: ٧٣؛ المائدة: ٦٤؛ الحديد: ٢٩) أو يضاف الـ "يد" إلى ضمير يرجع إلى الله (آل عمران، ٢٦؛ نعم/ ٧١، ٨٣؛ ص ٨٨؛ الملك، ١) وعلى قاعدة " حكم الامثال فيما يجوز و فيما لايجوز واحد " لا ينبغي أن يُقدر في هذه الآية لفظ آخر علاوة على أن عدم التقدير أولى من التقدير[٤٤] ومتى لم تقدر الكلمة اكتمل معنى الجملة، فلا وجه للتقدير فى الآية.

٣-٣-٣. مخالفة السياق

وجهة نظر الزمخشري لا تتوافق مع سياق الآية وظاهرها. لأن عبارة " إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّه" (الفتح: ١٠) لا تعني أن "يد الله" تعني يد رسول الله؛ لأنه في هذه الحالة ينبغي أيضاً أن يكون «يُبايِعُونَ اللَّه » بمعنى «يبايعون رسول الله» ، مما يعني أن معنى الآية سيكون: "وإن الذين يبايعونك فإنهم يبايعونك" و في حين أن هذه الكلمة بعيدة كل البعد عن أن يكون لها هذا المعنى ولا تأتي من الخالق الحكيم.بالإضافة إلى أن جمهور المفسرين أوّلوا "يد الله" إلى المعاني المجازية على حسب ظاهرها، وظهورها الأول أيضاً في يد الله، والحذف والتقدير في اللفظ يحتاج الى القرينة ، وليس هنا هناك قرينة على والتقدير ، بل هناك قرينة على خلافه، وذلك هو سياق الآية.

٣-٣-٤. مخالفة الظاهر

وقوله «يد الله فوق أيديهم» لا يعني أن يد النبي فوق أيديهم؛ لأن هذا الأمر كان معروفا و معلوما للمبايعين وكل المبايعين كانوا يشاهدون هذه المسألة بأعينهم، ولن يكون هناك أي غرض بلاغي في هذه الحالة، وقد يتم كونه لغواً، لكن الآية تخبر عن شيء قد يكون شخص ما مترددا أو غافلا عنه. وفي هذه الحالة يتم توفير الغرض البلاغي أيضاً، وكأن البعض متردد أو غير مدرك هل الله يقر هذا البيعة أم لا. وقد أكد الله نفسه هذا البيعة وأزال الشك أو التهاون عن بعض للمبايعين بعبارة "يد الله فوق أيديهم". ولذلك يبدو رأي الزمخشري مخالفاً للظاهر؛ لأن ظاهر «يد الله» هو يد الله و ليس يد رسول الله (ص)، وإن كان يقتضي التأويل إلى المجاز، إلا أن تفسيره ليد الله بيد رسول الله صلى الله عليه و آله سلم تفسير مخالف للظاهر.

٣-٣-٥. عدم ملازمة بين بيعة الله والمبايعين ومعنى يد رسول الله صلى الله عليه وآله سلم لتعبير "يد الله"

فمن ناحية، من المهم أن يكون من يبايع النبي (ص) كأنه يبايع الله، إلا أن هذا غير كون المعنى المجازي لـ "يدُ الله" هو يد رسول الله (ص). وهذان الأمران مقولتان منفصلتان، و لا علاقة و لا ملازمة بينهما، ولذلك فقد ذكر بعض المفسرين أولا أن بيعة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هي نفس بيعة الله. فقد عبروا عن معاني "يد الله" المجازية غير ذاكرين يد رسول الله (ص) من ضمن المعاني المجازية للآية.[٤٥] بل يمكن القول إن عبارة "يد الله فوق أيديهم" لا تفيد أن بيعة النبي صلى الله عليه و آله و سلم هي بيعة لله، حتى نقول إن يد الله هي يد النبي صلى الله عليه و آله و سلم. وهذه النقطة لا تعني أن يد الله هي يد رسول الله والنبي (ص) هو الوسيط في البيعة . بل الله موجود فيمن يبايع ويؤكد البيعة ولا حاجة إلى وسيط ليفترض أن يده يد رسول الله (ص).

٣-٣-٦. منع تأويل لفظة الجلالة بدل تأويل لفظة الـ«يد»

ومن الأدلة الأخرى للزمخشري في تفسير يد الله على أنها يد رسول الله أن الله ليس له يد، ففي هذه الآية معنى يد الله يد رسول الله ،[٤٦] في الواقع يريد الزمخشري أن يثبت اليد الجارحة في هذه الآية، لكن بما أن نسبة اليد الجارحة إلى الله ممنوعة عقلاً، فإنه يفسر "يَد الله" على أنها يد رسول الله.والمشكلة هي لماذا يصر الزمخشري على إثبات اليد بظاهره؟ ولكن يمكن أن تؤول بمعنى آخر غير المعنى الظاهر للجارحة كالقوة والبيعة والنعمة ونحو ذلك. ويحاول الزمخشري هنا بدلًا من لفظة الـ "يد" تأويل لفظة "الله"، وهو لا مجوز له في هذا التفسير و لا مبرر، ولا أن طريقة التفسير تقتصر على تأويل لفظة "الله". ولكن بإمكانه أن يؤول لفظة الـ "يد" الى المعاني المجازية كأغلب المفسرين و لا يؤول لفظة الـ «الله».

٣-٣-٧. التفسير بالرأى

وجهة نظر الزمخشري يمكن أن تؤدي إلى التفسير بالرأى لأنه اعتبر "يد الله" "يد رسول الله" من دون أي مجوز و مبرر ؛ إلا أن "يد رسول الله" كانت واضحة كالنهار لجميع المبايعين، أنها "فوق أيديهم" ولا تحتاج للتعبير عنها. فذكر « يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم » لا يتفق مع كونه إرشادا الى حكم العقل حتى يقال إنه بيان إرشادي ولكنه من باب تنبيه الغافل أو المتردد، كأنه يشك في أن الله قد أقر هذه البيعة أيضا أم لا.

٣-٣-٨. مخالفة مشهور المتقدمين

بالإضافة إلى المشاكل المذكورة أعلاه مع وجهة نظر الزمخشري، فإن وجهة نظره تخالف المشهور فى تفسيرهم لـ "يد الله" فإن مشهور المفسرين على أن معنى «يد الله» في هذه الآية بمعنى يد القدرة لله.[٤٧] و كذا أراء أخرى في معنى يد الله في الآية، احصيناها حسب ما ذكر إلى ١٨ رأيا. ونتيجة لذلك فإن وجود وجهات نظر معارضة لوجهة نظر الزمخشري، أي من كبار المفسرين الذين سبقوه، يمنعنا من قبول وجهة نظره بسهولة ونبذ وجهات النظر الأخرى بسهولة.

٤. الخاتمة

ومع ذلك، يبدو أن "يد البيعة" هي الأصح من جميع الأقوال المذكورة بحسب سياق الآية، لأن الآية ذكرت البيعة و"يد الله" في هذا الموضع تحمل هذا المعنى وكأن الله قد أثبت بيعتهم أيضًا و أقر بها، وقد ختمت يده الغيبية بالموافقة على بيعتهم، وكأنما وضع يده على أيديهم. ويبدو أن الطبري

هو أول من عرف هذا المعنى وعبّر عنه كأول الوجهين اللذين اعتبرهما لمعنى مجازياً لـ "يد الله"[٤٨] وإن كان الرسعني (٦٦٠هـ) نسب هذا الرأي إلى السُدي[٤٩] لكن مثل هذه العلاقة لا تبدو صحيحة؛ لأنه لم يذكر أحد المفسرين هذه النسبة في المصادر السابقة على الرسعني.

و بدراسة آراء المفسرين في آية "يد الله فوق أيديهم" يتبين وجود ١٨ رأياً في معنى "يد الله" في الآية العاشرة من سورة الفتح وهي: يد الوفاء **و** يد النصرة و يد النعمة و يد الحفظ و الحراسة والإطلاع والعمل والفعل و يد الإسلام **و يد** الهداية، ويد الغلبة، ويد المغفرة ويد الثواب ، و نعمة وجود النبي (ص)، و يد البيعة، و يد رسول الله (ص) و منة الاسلام و دفع السوء و يد الغلبة.

جميع الأقوال المذكورة تنقسم إلى ثلاثة أوجه: يد القدرة، ويد البيعة، ويد النبي صلى الله عليه وسلم. وفي هذا الصدد فإن يد رسول الله (ص) بالمعنى المجازي لـ(يد الله) في الآية المذكورة هي وجهة نظر الزمخشري، ولم يقدم دليلاً لوجهة نظره واكتفى بكون الله تعالى منزهاً عن الأعضاء.

وقد قبل المفسرون الآخرون مثل العلامة الطباطبائي والآلوسي وآية الله السبحاني هذا المعنى لـ "يد الله" في الآية المذكورة و وافقوا الزمخشري في هذا الرأي.

وجهة نظر الزمخشري غير مقبول لأسباب و دلائل منها منع حصر المعنى المجازي لـ"يد الله" في رأي الزمخشري، وأولوية عدم التقدير على التقدير، ومخالفة رأي الزمخشري لسياق الآية، و القول بالتجسيم و معارضة الظاهر، و عدم الملازمة بين بيعة الله ومعنى يد رسول الله صلى الله عليه و آله سلم في تعبير "يد الله"، و منع تأويل لفظة «الله» بدل تأويل لفظة الـ "يد" و التفسير بالرأي ومخالفة المشهور. وعلى ما قيل فإن المعنى المجازي المختار لـ (يد الله) في الآية المذكورة هو معنى «بيعة الله» و الدليل عليه هو السياق.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم

١. **الاقتباس من القرآن الكريم**، ثعالبی، عبدالملک بن محمد، عمان، جدارا للكتب العالمی ٢٠٠٨م.

٢. **انوار التنزيل و اسرار التأويل**، بيضاوی، عبدالله بن عمر، به كوشش محمد عبدالرحمن مرعشلی، بيروت: دار احياء التراث العربی، ١٤١٨ق.

٣. **ايجاز البيان عن معانی القرآن**، نيشابوری، محمود بن ابوالحسن، بيروت: دار الغرب الاسلامی، ١٤١٥ق.

٤. **البحر المحيط فی التفسير**، ابو حيان، محمد بن يوسف، لبنان: دارالفكر، ١٤٢٠ق.

٥. **بحر العلوم**، سمرقندی، نصر بن محمد، بيروت: دارالفكر، ١٤١٦ق.

٦. **البحر المحيط فی التفسير**، ابو حيان، محمد بن يوسف، بيروت: دارالفكر، ١٤٢٠ق.

٧. **البلاغة الواضحة**، جارم، علی، طهران: موسسة الصادق(ع)، ١٣٨٧ش.

٨. **البهجة المرضية علی ألفية ابن مالک**، سيوطی، عبدالرحمن بن ابی بكر، قم: اسماعيليان، بی تا.

٩. **التبيان فی تفسير القرآن**، طوسی، محمد بن حسن، بيروت: دار احياء التراث العربی، بی تا.

١٠. **تذكرة الأريب فی تفسير الغريب**، ابن‌الجوزی، عبدالرحمن بن علی، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥ق.

١١. **تفسير التستری**، تستری، سهل بن عبدالله، بيروت: دارالكتب العلمية، ١٤٢٣ق.

١٢. **تفسير الثمرات اليانعة و الاحكام الواضحة**، ثلايی، يوسف بن احمد، صعده: مكتبة التراث الإسلامي، ١٤٢٣ق.

١٣. **تفسير الجلالين**، محلي،جلال الدين و السيوطي ،جلال الدين، ،موسسة النور للمطبوعات، بيروت،ط. الاولی،١٤١٦ق.

١٤. **تفسير صفی علی شاه**، صفی علی شاه، محمدحسن، طهران: منوچهری، ١٣٧٨ش.

١٥. **التفسير الكبير: تفسير القرآن العظيم**، طبرانی، سليمان بن احمد، اردن–اربد: دارالكتب الثقافی، ٢٠٠٨م.

١٦. **تفسير منهج الصادقين في إلزام المخالفين**،كاشاني،ملا فتح الله،مكتبة محمد حسن علمي،طهران،١٣٣٦ش.

١٧. **تنزيه القرآن عن المطاعن**، معتزلی، قاضی عبد الجبار، بيروت: دار النهضة الحديثة، ١٤٢٦ق.

١٨. **جامع البيان فی تفسير القرآن**، طبری، محمد بن جرير، بيروت: دارالمعرفة، ١٤١٢ق.

١٩. **جواهر البلاغة**، هاشمی، احمد، قم: مركز الادارة لحوزه قم العلمية ، ١٣٨١ش.

٢٠. **رموز الكنوز فی تفسير الكتاب العزيز**، رسعنی، عبد الرزاق، مكه مكرمه: مكتبة الاسدی، ١٤٢٩ق.

٢١. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني**، آلوسی، محمود بن عبدالله، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ق.

٢٢. **زاد المسير فی علم التفسير**، ابن‌الجوزی، عبدالرحمن بن علی، بيروت: دار الكتب، ١٤٢٢ق.

٢٣. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل فى وجوه التأويل**، زمخشری، محمودبن عمر، بیروت: دار الکتاب العربی، ١۴٠٧ق.
٢۴. **متشابه القرآن و مختلفه**، ابنشهرآشوب، محمد بن علی، قم: بیدار، ١٣۶٩ق.
٢۵. **المحاسن**، برقی، احمد بن محمد بن خالد، تحقیق: سید جلال الدین حسینی محدث، تهران: دار الکتب الاسلامیة، ١٣٣٠ش.
٢۶. **مجمع البیان فی تفسیر القرآن**، طبرسی، فضل بن حسن، به کوشش هاشم رسولی، تهران: ناصرخسرو، ١٣٧٢ش.
٢٧. **مفاتیح الغیب معروف به التفسیر الکبیر**، فخر رازی، محمد بن عمر، بیروت: دار احیاء التراث العربی، ١۴٢٠ق.
٢٨. **معانی القرآن**، فراء، یحیی بن زیاد، بتحقیق محمدعلی نجار، الهیئة المصریة العامة للکتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.
٢٩. **منیة الطالبین فی تفسیر القرآن المبین**، سبحانی، جعفر، قم: موسسه الامام الصادق(ع)، ١٣٩۵ش.
٣٠. **المیزان في تفسیر القرآن**، طباطبائي،سید محمد حسین، قم: مکتبة النشر الاسلامي التابعة لجامعة المدرسین، ١۴١٧ق.
٣١. **نفائس التأویل**، السید المرتضی، علی بن حسین، بیروت: الاعلمی، ١۴٣١ق.
٣٢. **وضح البرهان فی مشکلات القرآن**، نیشابوری، محمود بن ابوالحسن، بیروت: ١۴١٠ق.
٣٣. **وجوه القرآن**، تفلیسی، حبیش بن ابراهیم، طهران، جامعة طهران، ١٣٧١ش.
٣۴. **الوجوه و النظائر لالفاظ کتاب الله العزیز**، دامغانی، حسین بن محمد، مصر: وزارت اوقاف، ١۴١۶ق.

هوامش البحث

[١] . جواهر البلاغة، ٢٣٢، البلاغة الواضحة، ٧١.
[٢] . جواهر البلاغة، ٢٠۵.
[٣] . البلاغة الواضحة، ٧٧.
[٤] . البحر المحیط، ۴٧٠/٩.
[۵] . المحاسن، ٢٢٠/٢؛ الکافي/ ۵۴٩/۴.
[۶] . الکشاف، ٣٣۵/۴؛ أنوار التنزیل، ١٢٧/۶.
[٧] . معانی القرآن للفراء، ۶۵/٣؛ تذکرة الأریب، ٣۵٨.
[٨] . التبیان للطوسی، ٣٠٢/٩؛ مجمع البیان، ١٧١/٩؛ ایجاز البیان، ٧۵٠/٢.
[٩] . تفسیر التستری، ١٣٧؛ التفسیر الکبیر للطبرانی، ۵٢/۶؛ جامع البیان، ۴٨/٢۶.
[١٠] . التبیان للطوسی، ٣٠٢/٩؛ وضح البرهان، ٧۵٠/٢.
[١١] . ایجاز البیان، ٧۵٠/٢؛ تفسیر الماتریدی، ٢٩٩/٩.
[١٢] . الکشاف، ٣٣۵.
[١٣] . بحر العلوم، ٣١۴/٣؛ مفاتیح الغیب، ٧٣/٢٨.
[١۴] . مفاتیح الغیب، ٧٣/٢٨.
[١۵] . مجمع البیان، ١٧١/٩.
[١۶] . البحر المحیط، ۴٨۶/٩.
[١٧] . جامع البیان، ۴٨/٢۶.
[١٨] . تفسیر الماتریدی، ٢٩٩/٩.
[١٩] . تفسیر الماتریدی، ٢٩٩/٩؛ متشابه القرآن لابن شهرآشوب، ٧٠/١.
[٢٠] . تفسیر الماتریدی، ٢٩٩/٩.
[٢١] . بحر العلوم، ٣١۴/٣؛ زاد المسیر، ١٣٠/۴.
[٢٢] . الاقتباس للثعالبی، ١٩١/١.

[٢٣] . الوجوه و النظائر للدامغانى، ٣٢٧/٢؛ وجوه القرآن للتفليسى، ٣١٢/١.

[٢٤] . تفسير الجلالين، ٥١٥.

[٢٥] . مفاتيح الغيب، ٧٣/٢٨.

[٢٦] . تنزيه القرآن عن المطاعن، ٦٢٠/٣؛ نفائس التدويل، ٢٧٨/٣.

[٢٧] . الأمثل، ٤٤/٢٢.

[٢٨] . معانى القرآن، ٦٥/٣.

[٢٩] . تذكرة الأريب، ٣٥٨.

[٣٠] . روض الجنان، ٣٣٠/١٧.

[٣١] . نفس المصدر، ٣٣١/١٧.

[٣٢] . متشابه القرآن لابن شهرآشوب، ٧٠/١.

[٣٣] . نفس المصدر، ٧٨/١.

[٣٤] . الكشاف، ٣٣٥/٤.

[٣٥] . تفسير صفى على شاه، ٧٠٦. ترجمة البيت: يبدو من قوله يد الله فوق أيديهم أن يد المصطفى (ص) يد الله تعالى.

[٣٦] . الميزان، ٢٧٤/١٨.

[٣٧] . منية الطالبين، ٨٠/٢٦.

[٣٨] . روح المعانى، ٢٥١/١٣.

[٣٩] . البحر المحيط، ٤٨٦/٩.

[٤٠] . نفس المصدر، ٤٨٧/٩.

[٤١] . روض الجنان، ٣٣٠/١٧.

[٤٢] . تفسير منهج الصادقين، ٣٦٧/٨.

[٤٣] . الكشاف، ٣٣٥/٤.

[٤٤] . البهجة المرضية، ١٨١.

[٤٥] . تفسير الثمرات اليانعة و الاحكام الواضحة، ٢١٧/٥.

[٤٦] . الكشاف، ٣٣٥/٤.

[٤٧] . انظر: تفسير التسترى، ١٣٧؛ التفسير الكبير للطبرانى، ٥٢/٦؛ جامع البيان، ٤٨/٢٦؛ التبيان للطوسى، ٣٠٢/٩.

[٤٨] . جامع البيان، ٤٨/٢٦.

[٤٩] . رموز الكنوز فى تفسير الكتاب العزيز، ٢٩٨/٧.